الأحد: 2023/11/26

التّوقيت: 11:20 – 12:50

القاعة: 14 في الكليّة

المحاضرة رقم 10: فنون النثر الجديدة بين المكتسب والموروث "فن الرواية" أنموذجا

1/ تعريف الرواية لغة واصطلاحا:

– لغة:

ذكرت كلمة الرواية في العديد من المعاجم اللغوية ومنها ما يلي:

جاء في "معجم لسان العرب" لابن منظور، (الرواية هو البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه الماء والرجل المستقي أيضا رواية).

وهكذا ورد في "القاموس المحيط" للفيروز آبادي، الرواية المزادة فيها الماء، والبعير والبغل والحمار يستقى عليه، روى الحديث، يروي رواية وترواه، بمعنى هو رواية للمبالغة وخلاصة الكلام لما سبق ذكره، أن الرواية في المعني المعجمي جاءت بمعنى الحيوان، وتشير في مضمونها إلى معنى السقاية.

كما نجد أن هذه اللفظة (الرواية) تدل في موضع آخر على التفكير في الأمر، وتدل على نقل الماء وأخذه كما تدل على نقل الخبر واستظهاره.

– اصطلاحا:

قد ذكر الكثير من النّقاد أنّه لا يُوجَد تعريف شامل للرواية؛ لأنّها فن أدبي قابل للتطور والاستمرار، وعلى المجمل فإنّ الرواية فنّ أدبي يعتمد على السّرد، ويختلف عن الأسطورة، فكاتبها معروف غير مجهول، وتختلف عن الخبر التاريخيّ، لأنّها وحيّ من الخيال، وتختلف عن الملحمة لأنّها من الأجناس النثريّة، وتختلف عن الحكاية والأقصوصة، لأنّها عمل أطول منهما، وتختلف عن الخبر، لأنّها ذات بنية سرديّة معقدة.

إذن **الرواية** هي سلسلة من الأحداث تُسرد بسرد نثري طويل يصف شخصيات خيالية أو واقعية وأحداثاً على شكل قصة متسلسلة، كما أنها أكبر الأجناس القصصية من حيث

الحجم وتعدد الشخصيات وتنوع الأحداث، وقد ظهرت في أوروبا بوصفها جنساً أدبياً مؤثراً في القرن الثامن عشر، والرواية حكاية تعتمد السرد بما فيه من وصف وحوار وصراع بين الشخصيات وما ينطوي عليه ذلك من تأزم وجدل وتغذية الأحداث.

فالرواية هي تلك المرأة التي تعكس على صفحاتها كل مظاهر الواقع المختلفة، وهي تجربة فنية منفردة باعتبارها ضربا من الخيال النثري مجسدا في إبداع الكاتب، وفيما يعالج موضوعا كاملا دون أن تنعزل عن القارئ، الذي تتوجه إليه وقد ألم بحياة البطل والأبطال في مراحل مختلفة، والرواية تفتح مجالا واسعا تكشف فيه عن حياة أبطالها وما يصادفهم من حوادث عبر الوقت الروائي فهي أكثر الفنون الأدبية ارتباطا بالواقع وأشدها التصاقا بموضوعاته أو مشابهة له.

2/ نشأة الرواية العربية:

إنّ الرواية واحدة من الفنون الأدبية المحدثة فما مرّ على نشأتها أكثر من عقود ثلاثة في أوروبا، وعقد ونص العقد في عالمنا العربي، وقد ظهرت أول الروايات العربية عام 1867م تحت تأثير عامِلي الحنين إلى الماضي والفتون بالغرب والتأثر فيه.

تصدرت الرواية بوصفها فنًا مكانة مرموقة في أدبنا العربي في العصر الراهن، حيث استطاع هذا المذهب الفني المحدث وذلك بمدة غير طويلة أن يتوصّل لمرحلة عالية من التطور جعلته يزاحم النظم العربي من شعر العرب، والدليل على هذا الأعداد الهائلة من الطبعات التي تطبع لكل رواية أنتجها الروائيون العرب في زمن كسدت فيه الكتب، فقد انطلق الروائيون العرب من المستوى المحلي والعربي إلى العالم.

كان مؤرخو الأدب العربي إلى وقت ليس ببعيد يعدّون رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل هي أول رواية عربية عام 1913م أو عام 1914م وقد رفض المؤرخون اعتبار ما صدر قبلها من أعمال بأنّها أعمال روائية، وهذا شيءٌ ينافي ظهور الرواية العربية في القرن التاسع عشر، ويُعدّ أوّل ظهور للرواية العربية في القرن العشرين، ولكن المؤرخين الجدد المُتخصّصين بعلم

السرد عندما نظروا في التاريخ المكتوب من الأدب وذلك في العقد التاسع عشر استنتجوا وعلى وجه الخصوص أن الكتاب من سوريا ولبنان احتلوا الصدارة في هذا المذهب ولقوا الحظوة فيه.

كان أول هؤلاء الكتاب اللبنانيين هو خليل الخوري صاحب جريدة "حديقة الأخبار" ومؤسّسها، وهو من قام بنشر الروايات المؤلفة والمعربة منذ بداية صدور جريدته عام 1858م، ونشر روايته الخاصة التي عنونها بـ" وي إذن لستُ بإفرنجي"، ووقعت الرواية في 162 صفحة، لأولي مرة في دار الفارابي سنة 1859.

أما في سوريا فقد كتب فرنسيس مراش رواية مختلفة عن رواية خليل الخوري وعنوانها "غابة الحق" ونشرت عام 1865م وطبعت ست مرات حتى عام 1990م.

وفي الأعوام العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر بدأ جورجي زيدان في مصر في رواياته التاريخية المبنية على أحداث تاريخ الإسلام (فتاة غسان، أرمانوسة المصرية: قصة فتح مصر على يد عمرو بن العاص، عذراء قريش: مقتل عثمان وواقعتي الجمل وصفين. نقلها إلى الفارسية خسروي الكرمانشاه، 17 رمضان: أحداث الفتنة الكبرى ومقتل الإمام علي بن أبي طالب، غادة كربلاء: مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب، الحجاج بن يوسف: الأحوال السياسية في العصر الأموي، فتح الأندلس: قصة فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد، شارل وعبد الرحمن: الفتوح الإسلامية في أوروبا، أبو مسلم الخراساني: سقوط الخلافة الأموية، العباسة أخت الرشيد: أحوال البلاط العباسي في عهد هارون الرشيد، الأمين والمأمون: العصر الذهبي للدولة العباسية، عروس فرغانة: الدولة في عهد المعتصم بالله وعاصمة الخلافة الجديدة سامراء، أحمد بن طولون: مصر في القرن الثالث للهجرة، عبد الرحمن الناصر: العصر الذهبي في الأندلس، فتاة القيروان، صلاح الدين الأيوبي: الحروب الصليبية، شجرة الدر، الانقلاب العثماني: الأحوال السياسية في عهد عبد الحميد الثاني، أسير المتمهدي: وتحكى قصة الثورة العرابية بقيادة أحمد عرابي ثم ثورة المهدي في السودان؛ وذلك من خلال أبطال القصة (شفيق) و(فدوى)، المملوك الشارد، استبداد المماليك، بيت القصيد، جهاد المحبين).

ودخل أحمد شوقي مجال الرواية آنذاك وكتب ثلاث روايات نشرت كحلقات مسلسل في جريدة الأهرام التي طبعت إحداها مؤخرًا واسمها "عذراء الهند"، وعن العملين الروائيين الأخيرين فالجهود ما زالت مستمرة لتقديمهم للقارئ العربي، وبعد هذا كانت رواية زينب لمحمد حسين هيكل عام 1913م أو 1914م الرواية العربية التي يعتبرها المؤرخون أنها شكلت منعطفًا مهمًا في مسار الرواية العربية.

3/ مراحل تطور الرواية العربية:

إنّ أيّ فنّ أدبي من الفنون يولد وينمو ويتطور، ويمر بمراحل تشبه مراحل نمو الإنسان من الولادة إلى الشيخوخة، وإن الرواية العربية شأنها شأن كل الفنون الأدبية بدأت بأساليب بسيطة وتطورت مع تطور المجتمع العربي إثر النهضات الفكرية التي أثرت على مجتمعاتنا العربية، وقد مرت الرواية العربية في مجموعة من المراحل وهي:

عصور الجاهلية والإسلام يقول بعض المؤرخين إنّ العرب قديمًا عرفوا أنواعًا نثرية تُشبه الرواية ولكن ليس الرواية التي نعرفها الآن، ومن هذه الأنواع النثرية؛ الخطابة والتوقيعات والرسائل، كما كان العرب قديمًا يروون قصص المعارك والحروب التي يخوضونها آنذاك وسميت أيام العرب، كما رووا أحاديث الهوى، وهذا ما أدّى إلى ظهور الفن القصصي عند العرب نتيجة اتّصالهم بالشعوب الأخرى.

وفي العصر العباسي نمت بذور الرواية العربية أو ما كان معروفًا بالقصة، حيث عرفوا المقامات التي تعني ما يُحكى عن المغامرات، ورسالة الغفران التي ألفها أبو العلاء المعري وهي رحلة تخيلها ويطرح بها كثيرًا من الأمور النقدية، وقصة حي بن يقظان وتحكي قصة طفل نشأ دون والدين وربته غزالة، وألف ليلة وليلة حيث تحكي قصصًا شعبية متنوعة.

أما في العصر الحديث (نهاية القرن التاسع عشر) فقد أدى التغيير في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأدبية والسياسية واحتك العرب بالغرب إلى وصول الرواية إلى الاستقرار وتأثرت بالاتجاهات الغربية، وأصبحت تنتج أدبًا يلائم البلاد العربية، وكثرت

حركات الترجمة والتعريب، وظهر عدد من الأدباء في هذه المرحلة مثل رفاعة الطهطاوي والمنفلوطي.

ومع الفترة المعاصرة أخذت الرواية العربية شكلها الحالي والخاص بكيانها العربي، وكذلك أصبحت أكثر تشخيصًا للواقع، ولم تقف عند الترجمة إلى العربية بل أصبحت حركة التأليف هي السائدة، كما بدأت عملية ترجمة الأعمال الروائية العربية إلى اللغات الأجنبية، وتوجّه قسم كبير من الأدباء إلى الأعمال النقدية للرواية وتأليف كتب عن كتابة الرواية واتجاهاتها.

4/ خصائص الرواية العربية:

من خلال ما تقدّم عن الرواية العربية، فهي تتّسم بالخصائص، والسمات الآتية:

- ذات طابع واقعي، فهي نماذج من الحكايات نابعة من الواقع،
- ذات أسلوب قصصيّ يستند إلى مجموعة من المرجعيات التي تعتمد على المظاهر، والتقنيات اللغوية، لتحقيق غايات، ومقاصد تحت مظلة اتجاه فكري معين.
- تواكب المتغيرات الحديثة في مختلف المجالات الفكرية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية.
- تهتم بالنواحي الأخلاقية، والحثّ على مقاومة المحتلّ، والاهتمام بالذاتية الإنسانية، والاهتمام بالقضايا الاجتماعية.
- بنت الحياة المدنية، والاهتمام بمظاهر الحياة الحديثة، والمدنية الجديدة.
- تنتمي إلى الاتجاه القومي، والتراث العربي، فقد غلب عليها أنّها تستمد رموزها من التراث العربيّ بأسلوب تاريخيّ.
- أحداثها مستلهمة من التقليد العربي، من قصص، وحكايات، وتقديمها في حلة جديدة، لتمنح فنَّ الرواية العربية طابعاً، وخصوصيةً.
- تصوير واقع الأرياف، والقرى، والأحياء الشعبية، لتصوير واقع فئة من فئات المجتمع المسحوقة، والكادحة التي تعيش على هامش المجتمع.

إذن الرواية العربية تصور واقع الشخصية العربية، من المدينة، إلى الريف، إلى البادية، ومن الفرد في العشيرة، إلى الفرد في الأسرة الواحدة، إلى الفرد المغترب الذي لا تربطه أي صلة بالآخرين، فلذلك وُجِدَت الرواية العربية بأنّها تُجسد الهوية الوطنية، والأحكام الفردية، والإبداع في إبراز عناصر الرومانسية منذ بدايتها، وتصوير الفرد بأنّه ذو شخصيةٍ مستقلة عن بيئته الطبيعية، وأنّها لجأت إلى تصوير البعد الرومانسيّ، والرمزيّ والأسطوريّ.

5/ عناصر الرواية:

الرواية هي أكبر أنواع القصص من حيث طولها ولكن الطول ليس وحده هو ما يميز الرواية عن القصة أو الأقصوصة، فالرواية تمثل عنصراً وبيئةً، أي أنّ لها بعداً زمنيا من المألوف أن يكون زمانها طويلاً ممتداً، بل ربمّا اتّسع البعد الزمني، فاستغرق عمر البطل أو أعمار أجيال متتابعة، وتقوم بمعالجة المشاكل المحددة في الحياة أو جانب من شخصية أو الشخصيات التي تصور الحياة الإنسانية، والرواية تقوم على عناصر هي:

- **الحدث**
- **الشخصية**
- **الزمن**
- **المكان**
- **الحبكة (العقدة)**
- **الموضوع**
- **الحوار**
- **السرد**

وكنا فصلنا فيها أثناء حديثنا عن فن القصة.